

الأمثل في تفسير كتاب القرآن المنزل

[19] الصفوف، وتتمّ عملية الفرز بين الطيب الطاهر، والخبيث الرجس. وهذا قانون عام وسنة إلهية خالدة وشاملة، فليس كلّ من يدعي الإيمان، ويجد مكاناً في صفوف المسلمين يترك لشأنه، بل ستبلى سرائره، وتنكشف حقيقته في الآخرة بعد الإختبارات الإلهية المتتالية له. وهنا يمكن أن يطرح سؤال (وهو السؤال الذي كان مطروحاً بين المسلمين آنذاك أيضاً حسب بعض الأحاديث والروايات) وهو: إذا كان القرآن عالماً بسريرة كل إنسان وأسراره فلماذا لا يخبر بها الناس - عن طريق العلم بالغيب - ويعرفهم بالمؤمن والمنافق؟ إن المقطع الثاني من الآية وهو قوله: (وما كان القرآن ليطلعكم على الغيب) يجب على هذا السؤال. أي أن القرآن سبحانه لن يوقفكم على الأسرار، لأن الوقوف على الأسرار - على عكس ما يظن كثيرون لا يحلّ مشكلة، ولا يفكّ عقدة، بل سيؤدي إلى الهرج والمرج والفوضى، وإلى تمزق العلاقات الاجتماعية وانهارها، وإطفاء شعلة الأمل في النفوس وتبدده، وتوقف الناس عن الحركة والنشاط والفعالية. والأهم من كلّ ذلك هو أنّه لا بدّ أن تتضح قيمة الأشخاص من خلال المواقف العملية والسلوكية، وليس عن أي طريق آخر، ومسألة الإختبار الإلهي لاتعني سوى هذا الأمر، ولهذا فإن الطريق الوحيد لمعرفة الأشخاص وتقويمهم هو أعمالهم فقط(1). ثمّ إنّ القرآن سبحانه يستثني الأنبياء من هذا الحكم إذ يقول: (ولكنّ القرآن يجتبي من رُسله مَن يشاء) أي أنّه يختار في كل عصر من بين أنبيائه من يطلعهم على

1 - لقد مرّ طرح هذا السؤال بالتفصيل عند تفسير قوله تعالى: (ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع...) وأجبنا هناك بأن الإمتحان الإلهي - هو في الحقيقة - نوع من التربية العملية للبشر، ولا يعني الإختبار والإستعلام، ولمزيد الإطلاع راجع ذلك البحث.